المحاضرة رقم-7-:

علم نفس النمو في العصر الحديث:

في هذا العصر يدخل علم نفس النمو مرحلة جديدة, إذ بدأ مرحلته العلمية في نطاق محدود من ميدان الطفولة ثم تعدى إلى مرحلة المراهقة والشباب مستفيدا من التقدم الذي أحرزته المرحلة الأخرى خاصة التي تدرس جسم الإنسان.

ومن أهم رواد هذه المرحلة جون لوك حيث ناد هذا الأخير إلى ضرورة دراسة العقل وذلك لتكون له عادات جديدة تتماشى مع القيم الاجتماعية لجماعته والعمل أيضا على قمع ميول الطفل الطبيعية التي لا تتفق والعادات الاجتماعية السائدة, حيث القائل أيضا أن الطفل يولد وعقله صفحة بيضاء ومن رواد هذه المرحلة أيضا كومنيوس إذ نشر هذا الأمر سنة 1657 كتابه العالم في صور فجمع فيه صورا وأشكالا ورسوما لدراسة الطفل في ذاته كطفل, فأكد أن للطفل شخصيته النفسية المتميزة وليس هو رجلا صغيرا.

أما جان جاك روسو كتب كتابه المشهور **إيميل** سنة 1762 الذي نادى بإعطاء الطفل حريته المطلقة للتعبير عن نزعاته الطبيعية وتنمية مواهبه وقدراته التي حبته بها الطبيعة, كما يرى **روسو** أن الطفل مخلوق بدائي نبيل وأنه خير بطبيعته ولا يفسد أحواله سوى تدخل الكبار ومن ثم يحب ألا يقتحم الكبار أرائهم وألا يفرضوا سلوكهم على الطفل كما قال إن الطبيعة مصلح للفرد والمجتمع .

ومن رواد هذه المرحلة أيضا جون هنري بستالوزي حيث نشر هذا الأخير سنة 1774 مذكراته عن حياة طفلة في الثالثة والنصف من عمرها, فكان عمله دراسة تتابعية لترجمة حياة الطفل, فمهد الطريق أمام تيدمان الذي نشر سنة 1787 **تراجم الأطفال** في السنوات الأولى من أعمارهم.

وفي القرن التاسع عشر كان فروبل الذي يعتبر المؤسس الأول لرياض الأطفال في شكلها الحديث, فنشر سنة 1827 كتابة عن **تربية الإنسان** الذي سجل فيه ما كان يلاحظه من سلوك الأطفال في السبت

والمدرسة خلال سنوات متلاحقة ثم جاء تشارلس داروين الذي عرف بنظرته الخاصة في النشوء والارتقاء في كتابته **أصل الأنواع** كما نشر كتابه في السيرة التخطيطية لحياة الطفل وذلك سنة 1877

ثم تبعه مندل في أبحاثه حول قوانين الوراثة, ومن بين المطورين والباحثين في علم النفس التكويني بافلوف باكتشافه الارتباط القائم بين المثير والاستجابة واكتشافه للمنعكس الشرطي, هذا في تجاربه الشهيرة, حيث لهذه التجارب أثارها العلمية لاسيما في بعض أنماط السلوك والعادات والاتجاهات وفي عملية التعليم والحفظ والتدريب والانتقال.

كما أن ج ستانلي هول – الذي يسمى عادة بمؤسس علم نفس النمو – والذي كان متأثرا بدرجة كبيرة بنظرية داروين في التطور, فكان يعتقد أن علم الوجود يجمع تاريخ النشوء, بمعنى أن نمو الفرد يعكس نمو الأنواع , ومن بين إنجازات هول أنه أدخل طريقة الأسئلة في دراسة علم النفس الطفل, حيث أن مطالبة الأطفال بالإجابة عن أسئلة محددة أو مطالبة الآباء بالإجابة عن مجموعة من الأسئلة, قد مكنت هول من دراسة التغيرات في أنماط الاهتمامات والرغبات مجموعة من أنماط السلوك الاجتماعي , هذا ولا تزال طريقة الأسئلة تستخدم على نطاق واسع الآن بعد تهذيبها.

كما نشر برويز كتاب **عقل الطفل** سنة 1882, إذ يشرح فيه الأفعال المنعكسة للطفولة عند الميلاد وتفاعل تلك الأفعال مع مراحل النمو.

وهناك من كبار العلماء النفسانيين الذين ساهموا مساهمة فعالة في دراسة التكوين النفسي في جانب أخر منهم سيجموند فرويد الذي عرف بمنهجيته في التحليل النفسي, وواطسون الذي كان مساعدا في تحرير مجلة علم النفس التكويني في نيويورك, كذلك ألفريد بينه الفرنسي الذي عرف باختباراته للنمو العقلي على الأفراد.

وفي أوائل القرن العشرين خطا هذا العلم خطوات واسعة وجريئة على الدراسات التتبعية والاختبارات, وسيرة الحياة ودراسة الحالات الخاصة, فمن أشهر هذه الدراسات ما قام بها هولينك ورث في النمو العقلي, للدراسات التجريبية, ثم جاء بريسي كوهلن ودراسة جيزل الذي درس فيها الطفولة والنمو الإنساني, ثم نشرت في مجلة **GOODONOOGH**

الذي درس التكوين النفسي للإنسان خلال حياته كاملة.

وبعد أن وضعت الأسس العلمية لعلم النفس النمو في أواخر القرن التاسع عشر, وأوائل القرن العشرين سار هذا العلم في أربع محاور رئيسية هي :

– المنحى السلوكي الذي يؤكد على السلوك الملاحظ للطفل ودور البيئة والخبرات في تعلم هذا السلوك

– المنحنى الوصفي المعياري الذي أكد أن النمو يأتي من داخل الطفل ويظهر في تتابع على طول مراحل النمو المتتالية

– منحنى التحليل النفسي الذي قدم مفهوما جديدا عن الشخصية مبنيا على الحوافز اللاشعورية

– منحنى نظرية المجال التي تنظر إلى الطفل النامي في علاقاته مع القوى الديناميكية لبيئته.